توحيد(٣)

الدرس الثاني

بَابٌ

قال المؤلف رحمه الله : قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ الْآيَاتِ.

الشرح: هذه الآيات وما بعدها نزلت فيمن يحكم غير الله تعالى، وأنه سبحانه وتعالى يعلم مكرهم وكذبهم ، فقال سبحانه: {أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً}النساء٦٣

فالله تعالى يعلم ما تسر القلوب وما تعلنه، كما قال سبحانه: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}ق١٦. وقال جل وعز: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}الأنفال٢٤. فالله تعالى قريب من عبده يعلم ما يفكر فيه، وما يخطر على باله، قال تعالى: {سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ}الرعد١٠

قال المؤلف رحمه الله : وَقَوْلُهُ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

الشرح: الإفساد نوعان:

أولهما، إفساد حسي بهدم البيوت وإفساد الطرق وغيرها.

وثانيهما، إفساد بالمعاصي، وهو أعظم الفساد، قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}الروم٤١

قوله تعالى: (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ)، من أبطل الدعاوى، حيث يزعمون أنهم مصلحون وهم مفسدون، وهو أسلوب ينتهجه أهل النفاق على مر العصور، عندما يجاهرون بأفكارهم ويتبعونها بدعوى الإصلاح.

قال المؤلف رحمه الله : وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» قَالَ النَّوَوِيُّ "حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ "الْحُجَّة" بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ".

الشرح : هذا الحديث ضعيف ولا يثبت.

الهوى: الميل، والهوى في غالبه ضلال، قال تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً}الفرقان٤٣. وقال سبحانه: {فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى}طه١٦. والآيات في بيان ضلال اتباع الهوى أكثر مما ذكرنا.

قال المؤلف رحمه الله: وَقَالَ الشَّعْبِيُّ كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ عَرِفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ، وَقَالَ الْمُنَافِقُ نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ: لَعَلِمَهُ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ، فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ .

وَقِيلَ "نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اِخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ الْآخَرُ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ".

الشرح: إن صح الأثر ففيه أن اليهود يثقون بصدق النبي صلى الله عليه وسلم، لكنهم أهل مكر وخديعة ولا يتحاكمون إليه إلا إذا احتاجوا لذلك، وأما المنافق فمن طبعه أنه يتحاكم إلى غير شرع الله تعالى.

بَابٌ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

من المخالفات في العقيدة جحد شيء من الأسماء والصفات، وقد يكون جحدها عن طريق تأويلها، أو نفيها، ويختلف حكم المعتقد بذلك بحسب نوع اعتقاده، فمن كان متأولاً وفي اللغة ما يدل على تأوله فلا يُكَفَّر، وإن لم يكن في اللغة ما يسنده فلاشك أنه كُفرٌ، وإن كان الجاحد نافياً للاسم والصفة، كأن يقول ليس لله يد، فلاشك أنه كافر؛ لأنه مكذب للقرآن.

قال المؤلف رحمه الله: وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾. الرعد٣٠

الشرح: كفار قريش كانوا يكفرون باسم الرحمن، قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً}الفرقان٦٠، وثبت في صحيح البخاري في قصة صلح الحديبية: (فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل: أما الرحمن فو الله ما أدري ما هو). فهم ينكرون الاسم ومن باب أولى ينكرون ما دلت عليه من الوصف، مع يقينهم وعلمهم بأن الله تعالى هو الخالق: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}لقمان٢٥. ولذا قال الله تعالى: {قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً}الإسراء١١٠.

قال المؤلف رحمه الله: وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ عَلِيٌّ "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!" .

الشرح: ومن أهم ما يتحرز منه في تحديث الناس مسائل العقيدة، والتي منها الأسماء والصفات والتي لا يستطيع فهمها كثير من العامة، فتكون لهم فتنة، مع أنهم ليسوا مطالبين بمعرفة تفاصيل معانيها. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب. ا.هـ

قال المؤلف رحمه الله : وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ "أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً اِنْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الصِّفَاتِ اِسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟!" اِنْتَهَى .

الشرح: هذا الأثر يبين ما سبق ذكره من خطورة الحديث بالنصوص التي لا يعقلها العامة ولا تصل عقولهم إلى إدراكها، فتكون فتنة لهم، وفي هذا الأثر استنكر الرجل ما سمعه من الصفة، ومن المعلوم أن من أنكر اسماً أو صفة لله تعالى فهو مخالف في العقيدة، فالتسبب في إيقاع العامة في الاستنكار لا ينبغي، بل يحرم إذا كان يؤدي بهم إلى الإنكار.

قوله: محكمه ومتشابهه، المحكم هو الذي اتضح معناه، والمتشابه: الذي يخفى معناه. والواجب في الإيمان بالمحكم والمتشابه، قال تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}آل عمران٧. ومن عادة أهل البدع أنهم يتبعون المتشابه ليلبسوا فيه على الناس، وأما أهل الحق فإنهم يؤمنون بمحكمه ومتشابهه، ويعتقدون أنها من الله تعالى.

قال المؤلف رحمه الله: وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ .

الشرح : سبق في أول الباب

معهد العلوم الشرعية العالمي

بَابٌ

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ الْآيَةَ.

نعمة الله: مفردة لكن يراد بها الجمع كما في قوله تعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}النحل١٨. والمراد بإنكارهم لنعمة الله تعالى، أنهم لا ينكرون حدوث النعمة، لكنهم ينكرون أن تكون من عند الله، بل ينسبونها لمن تعلقت قلوبهم بها من معبودات وغيرها، كما في قصة قارون عندما أنعم الله عليه بالمال، فنسبها إلى نفسه ولم يشكر الله عليها، كما قال الله حكايةً عنه، {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي}القصص٧٨.

وهناك فرق بين من ينسب حصول النعمة من غير الله، وبين من ينسبها لله لكنه لا يشكر الله عليها، بل يتكبر ويتجبر على خلق الله بحصوله على نعمة الله، فالأول عنده شرك في الربوبية؛ لأن الرازق هو الله، وأما الآخر فليس لديه شرك لكنه عاصٍ.

وهناك ذكر للسبب الطبيعي للحصول على الرزق، وهو كدُّ الإنسان وتعبه في تحصيل الرزق، فنسبته كسبب صحيح؛ لأنه لو قعد عن العمل لما تكسب.

قال المؤلف رحمه الله: قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ "هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي".

الشرح: إضافة الإرث إلى الآباء والأجداد يختلف حكمه كسابقه، وسبق ذكر قارون ومقولته في نسبته المال لنفسه ونسيانه لله تعالى.

قال المؤلف رحمه الله: وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ "يَقُولُونَ لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا".

وَقَالَ اِبْنُ قُتَيْبَةَ يَقُولُونَ "هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا".

الشرح: في هذا الكلام إشارة إلى ما ثبت عن عباس بن عبد المطلب قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال نعم هو في ضحضاح من نار لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار. متفق عليه.

قال المؤلف رحمه الله: وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ الْحَدِيثِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ "وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ".

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ هُوَ كَقَوْلِهِمْ كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا. وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيرَةٍ .

الشرح: "وذلك مثل الاستسقاء بالأنواء، وإنما كان هذا مذموما؛ لأنه لو أتى إليك عبد فلان بهدية من سيده فشكرت العبد دون السيد؛ كان هذا سوء أدب مع السيد وكفرانا لنعمته، وأقبح من هذا لو أضفت النعمة إلى السبب دون الخالق" القول المفيد لابن عثيمين ٢/٢٠٦.

معهد العلوم الشرعية العالمي